

مسرح الطفل: المفهوم، والأنواع، والخصوصية العربية "دراسة نقدية"
(Child theater: concept, types, and specificity; a critical study)

أ.د/ مصطفى فاروق عبدالعليم محمود

أستاذ الأدب والنقد - جامعة الأزهر (مصر)

تاريخ الاستلام 2021/07/03

تاريخ القبول: 2021/07/09

تاريخ النشر: 2021/09/07

ملخص: ركزت هذه الدراسة على مصطلح مسرح الطفل، وما يحمله هذا المصطلح من إشكاليات، والفئة العمرية التي يوجه إليها، والمرسل لهذا المسرح، والمستقبل له، وأنواعه، والتحويلات التي لحقت به، إلى أن وصلنا إلى هذا العصر الرقمي، وكيفية معالجة الكتاب لموضوعات الطفل، كما رصدت الدراسة بعضًا من المآخذ على كتاب مسرح الطفل، ووجهتهم إلى آلية تصويبها بما يتماهى مع طبيعة الطفل...

كلمات مفتاحية: المسرح، مسرح الطفل، المنهج الوصفي والتحليلي..

Abstract:

This study focused on the term child theater, and what this term carries in terms of problems, the age group to which this theater is directed, the producer of this theater, the future for it, its types, and the changes that have befallen it to this digital age, and how playwrights deal with children's issues. The study has some of the defects of playwrights who write for children, and directed them to a mechanism to correct it in proportion to the child ...

Keywords: Theater, children's theater, descriptive and analytical method

1. مقدمة:

تأتي دراستنا هذه لتكون واحدة من الدراسات الأدبية التي تتناول مسرح الطفل، وذلك بالوقوف على عدة إشكاليات، تتمثل في: المفهوم، والمرسل، والمستقبل، والأنواع، والخصوصية العربية، وطريقة الكتاب في معالجة النصوص الموجهة إلى الطفل...

وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت مسرح الطفل، منها:

- أطفالنا والدراما المسرحية: فاطمة يوسف محمد (دكتورة)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 2006م.

- مسرح الطفل: وارد، وينفريد وارد، تر/ محمد شاهين الجوهري، مراجعة/ كامل يوسف، الطبعة الأولى، الدار المصرية للتألف والترجمة، القاهرة 1966م.

- مسرح الطفل في الوطن العربي: حمدي الجابري، مكتبة الأسرة- مصر 2002م. وغيرها من الدراسات الأدبية...

تأتي دراستنا هذه مخالفة للدراسات السابقة؛ إذ إنها ترصد بدقة للمصطلح، حيث نجد قصورًا واضحًا في التعريفات السابقة لمسرح الطفل، كما تحدد هذه الدراسة المرسل، والمستقبل، والأنواع، والخصوصية العربية، وطريقة الكتاب في معالجة النصوص الموجهة إلى الطفل...

هذه الدراسة اتخذت من المنهج الوصفي والتحليلي منهجًا للتحليل والنقد؛ فإن الإشكاليات التي تطرحها الدراسة متسقة وهذا المنهج، ومن أبرز تلك الأسئلة التي حاولت الإجابة عنها :

- ما مفهوم مسرح الطفل؟
- من المرسل ومن المستقبل لهذا المسرح؟

- ما أبرز أنواع مسرح الطفل؟
 - ما الخصوصية العربية لمسرح الطفل؟
 - كيف يمكن معالجة كُتّاب المسرح لموضوعات الطفل؟
- أما منهجي في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي والتحليلي، أما وصفي إذ إنّه يصف واقع أدب الطفل، وأما تحليلي إذ إنّه يفكك هذا الواقع، ويحاول أن يحلله لنصل إلى المأمول من معايير في الكتابة للأدب المسرحي الموجه إلى الطفل.
- أما أهداف هذه الدراسة، فهي:

- الوقوف على مفهوم مصطلح مسرح الطفل.
- تحديد المرسل والمستقبل لهذا المسرح.
- معرفة أنواع مسرح الطفل.
- تحديد الخصوصية العربية لمسرح الطفل.
- آلية معالجة كُتّاب المسرح لموضوعات الطفل.

2. مسرح الطفل

1.2 مصطلح مسرح الطفل:

المسرح فن مزدوج نص/عرض؛ هذه الازدواجية جعلت منه فن المفارقات بامتياز، ينسج خصوصيته، ويمنح العناصر المكوّنة لبنانيته الكثير من المفارقات. لقد تعددت التعريفات التي تناولت مسرح الطفل، ولو سنحت الفرصة لي في الأيام القادمة، لجمعت هذه التعريفات التي تجاوزت المئات، وقمت بدراسة حولها.

لكن اليوم -في هذه الدراسة الوجيزة- سوف أكتفي بأربعة منها، ثم أقترح تعريفاً أحسبه جامعاً مانعاً يجعل مسرح الطفل أوسع انتشاراً، وأكثر تأثيراً.

أول التعريفات التي استوقفتني تعريف قاموس أكسفورد؛ إذ يُعرّف مسرح الطفل بأنه: عروض الممثلين المحترفين أو الهواة للصغار سواء على خشبة مسرح أم في قاعة معدة لذلك...وهو لا يشمل التمثيل الاحترافي للأطفال، أو عروض الهواة التي يقدمها أطفال المدارس للجمهور. ⁽¹⁾

اللافت للنظر في تعريف أكسفورد هو استبعاده لعروض المسرح المدرسي من تصنيفات مسرح الطفل؛ لأنه مسرح بيئي يرتبط بالمدرسة، ويعقد في أوقات محددة، وكذلك استوقفتني في هذا التعريف تجاهل النص المكتوب من قبل المؤلف، وخصائص المسرحية.

ثم نجد من يُعرّف مسرح الأطفال بأنه "جزء من مسرح الكبار ويتصف بصفاته في الغالب، مع فارق في مستوى النص، وفي نوعية الممثلين والأهداف والأفكار، وهو يهتم بنصوص مسرحية تعالج أموراً تهم الصغار، وتعطي أهدافاً وأفكاراً تتناسب مع مستويات سنهم." ⁽²⁾

التعريف السابق يُجَمِّع من دور النص المسرحي المكتوب، ولم يبرز لنا نوعية الممثلين والأهداف التي ذكرها، وأحسب أنه تعريف يحتاج إلى تعريف...

هناك من الأكاديميين من عرّف مسرح الطفل بأنه "عمل فني مادته الأولى النص التأليفي الموجه للأطفال، والذي يناسب مراحل أعمارهم المتدرجة، ومن ثم، ينتقل فوق خشبة المسرح إلى عرض تمثيلي درامي يقدمه الممثلون وفقاً لتوزيع الأدوار التي يلعبونها تعضدهم العناصر (المكملات) المسرحية الفنية من ديكور، وإضاءة، وأزياء وأصوات وغيرها، بالإضافة إلى رؤية مخرج العرض، وتناغم فريق الأداء التمثيلي مع عناصره الفنية." ⁽³⁾

التعريف السابق -على الرغم من- إشارته إلى النص المكتوب، إلا أنه اعتنى بالنص المعروض، وأحسب أنه فضفاض إلى حدٍ كبير، ولا يخفى الدمج بين النص المكتوب والعرض المسرحي في التعريف السابق...

وكذلك نجد أكاديمية تعرفه بقولها: "العرض الذي يقوم على مقومات الدراما، على أن يأخذ بالاعتبار في تركيبه العلاماتي قدرة الطفل على فك شفرات المشهد المسرحي التربوي والتعليمي والجمالية بيسر". (4)

التعريف الأخير يركز على جانب العرض، والجانب التربوي والتعليمي، ويغفل نص المؤلف المكتوب، ويؤكد على الجانب السيميائي للعرض المسرحي.

كل التعريفات السابقة، وغيرها حملت فكر أصحابها تجاه مسرح الطفل، وقد أنارت لي الطريق ومهدت لي السبيل، وكانت جذوة من النار اصطلت بها دراستي؛ ولكن وجدت نفسي تطيق إلى التوسع في مفهوم المسرح، وبخاصة مسرح الطفل.

بناء على ما سبق؛ يمكننا أن نقول: إنّ التّعريف بالتّقسيم سيجعلنا أقرب في تجديد المفهوم؛ إذ إنّ المسرح يقصد بالنص الدرامي **Dramatic text** نص المؤلف (المكتوب) وهو نوع من التخييل **Fiction** المصمم خصيصا للتمثيل المسرحي، والمبني على أساس وأعراف **Conventions** درامية خاصة. (5)

فالمسرح نص مكتوب، ونص معروض، وهذا يجعلنا أمام سؤال، هل النص المكتوب يصلح أن يكون مسرحًا قائمًا بذاته؟
البعض يجيب: نعم، والآخر: لا.

هنا علينا أن نقول: هدفنا من المسرح أن يكون محدودًا ضيقًا، أم نجعله مسرحًا واسعًا عامًا، أنريد أن يشترك المتلقي، وبخاصة الطفل في تفسيرات العمل المسرحي، أم لا؟ بالتأكيد نريد أن نجعل المسرح عامًا واسعًا؛ لنستطيع عبه أن نضع بداخل المجتمع، وبخاصة الأطفال البذرة الأولى للقيم والأخلاق، كذلك نريد أن نحرك خيال المتلقي، وبخاصة الطفل أمام العمل المسرحي.

السؤال التالي الذي نطرحه هناك فارق بين القصة، وبين المسرحية المكتوبة؟ وما الفارق؟ نعم هناك فارق كبير بين المسرحية المكتوبة -نص المؤلف- وبين الفن القصصي، لعل من أبرز الفروق اعتماد الفن المسرحي على الحوار والصراع إلى جانب البناء.

معلوم أن الحوار طريقة من طرائق التواصل، فهو نقاش، وتبادل الحديث بين طرفين أو أكثر، يحاول كل من المتحاورين الوصول إلى أهدافه، وعبر الحوار تنهض العوامل التخيلية للنصوص فتتحرر نسبيًا من هيمنة الكاتب، مما يجعل فضاء النصوص متحركًا في الزمن، والذاكرة من خلال شخصيات العمل الدرامي.

والصراع الذي يتولد من رغبات، وأيدولوجيات متباينة... هو سمة للنص المسرحي المكتوب -نص المؤلف-.

كذلك مع التقنيات الحديثة، والرغبة في سرعة الانتشار عبر الشبكة العنكبوتية، ومواقع التواصل الاجتماعيّ سواء (تويتر، فيسبوك، واتساب...) أصبح نص المؤلف أكثر انتشارًا. ومع ضعف الإمكانيات في كثير من الأسر التي قد لا تتوفر لديها أسعار تذاكر المسرح، بل المبلغ المدفوع لوسيلة المواصلات للذهاب إلى المسرح، بل إن بعض الأسر لا تتوفر لديها أجهزة التلفاز، والرسيفر، وغيرها؛ إمّا لأسباب اقتصادية، أو أيولوجية... كل ما يتوفر لديهم الكتاب المدرسيّ المجاني من قبل الحكومات باختلاف أنواعها...

بعد هذه الأسئلة والإجابة عنها في السطور السابقة، والصورة الحقيقة لطبقات المجتمع في العالم العربي عمومًا، يمكننا أن نجزم بضرورة وجود مسرح يوسّع من خيال القارئ وبخاصة الطفل إذ يضع أمام الطفل مساحة من التخيل لا يوفرها العرض المسرحي المرئي الذي عبّر عن وجهة نظر المخرج للعرض المحدودة إذ قيست برؤية المؤلف الواسعة.

نصل الآن إلى أن المسرح إما أن يكون مكتوبًا، أو مرئيًا، أو مسموعًا...
فيمكننا أن نعرّف المسرح بأنه: "فن من الفنون الجميلة، يعتمد على الحوار والصراع، ويتناول قضية من القضايا بهدف التأثير أو الإفادة."

من ثم؛ فإنّ مسرح الطفل: "فن من الفنون الجميلة، يعتمد على الحوار والصراع الذي يناسب عقلية الطفل، ويتناول قضية من القضايا التي تشد انتباهه بلغة واضحة سهلة؛ تهدف إلى التأثير فيه أو تسليته."

بناء على التعريف السابق؛ فإنّ مسرح الطفل قد يكون نصًا مكتوبًا، أو عرضًا مرئيًا، أو مسموعًا، موجهًا إلى شتى الفئات العمرية، ليشاركوا مع الطفل في مقاربة المسرحية، مع ضرورة مراعاة طبيعة الطفل في اللغة، والأسلوب؛ إذ إنّه المقصود الرئيس من المسرحية، فالقصديّة هي الخط الفاصل بين مسرح الطفل، ومسرح الكبار.

2.2 المرسل والمستقبل لمسرح الطفل:

المرسل قد يكون كبيرًا، وقد يكون طفلًا، وكذلك المستقبل، أعني الكبار في حاجة إلى مشاركة الصغار في قراءة العمل المسرحي، وسماعه، ورؤيته، سواء في البيت، أم المدرسة، أم النوادي، في كل زمان ومكان، أتذكّر أيام الصغر كنّا نجلس مع أسرنا نتحدث حول الأعمال الدرامية، وما تحمله من قيم وأخلاق؛ فارتبطت هذه القيم بأذهاننا، وقوى التواصل

الاجتماعي بين الفرد ومجتمعه سواء الوالدين، أم الأقارب والإخوة، أم في المدرسة، والشارع أيضاً.

3.2 أنواع المسرحية:

عبر التعريف السابق، الذي أقترح؛ رغبة في توسيع دائرة التواصل بالمسرح؛ يمكننا

أن نقسم المسرحية ثلاثة أنواع:

1- مسرحية مكتوبة.

2- مسرحية مرئية.

3- مسرحية مسموعة.

4.2 ما يجب مراعاته في مسرح الطفل وبخاصة في وطننا العربي:

بناء على القصدية التي عُدَّت الخط الفاصل بين مسرح الأطفال، ومسرح الكبار، فيجب أن يراعي الكاتب لمسرح الطفل عدة أمور: لعل أهمها اللغة السهلة الواضحة التي يفهمها الطفل، وتشد انتباهه، فالألفاظ تعطي صورة لقائلها؛ إذ ترسم صورة الشخصية من ألفاظها، وتتلاءم ألفاظ الشخصية مع الصفة الاجتماعية، ومن هنا نعيب على الكتاب لمسرح الطفل في تصويرهم لشخصيات مسرحياتهم انطاقهم الشخصية ألفاظاً بما يخالف واقعها؛ مما قد يسبب فجوة بين الواقع والمسرح.

ونؤكد - في هذه الدراسة الوجيزة - على أن تكون الحوارات بسيطة، يقل فيها عدد المتحاورين كما ينبغي على المؤلف المسرحي أن يعتمد في حوار شخصياته على الجمل القصيرة، والابتعاد عن المونولوجات الطويلة، التي يصعب على الأطفال متابعتها أو إدراك

مضمونها، ونطالب المؤلف المسرحي بأن يشترك الأطفال بمقاطع غنائية تقوم بها الشخصيات.

وإذا كان للشخصية دور مهم في المسرح عمومًا، فإن هذا الدور يتضاعف في المسرح الموجه إلى الطفل، فيجب أن يسلط الضوء على شخصية من الشخصيات، وهي شخصية البطل التي يرى الطفل فيها نفسه، وأن يكون اسمه جذابًا يشد الطفل، وأن يقلل المؤلف من عدد الشخصيات في نصه، مراعاة للقدرة الذهنية لدى الطفل، وأن تكون الشخصيات مسطحة ذات نمط ثابت -، يستطيع الطفل فهم طبيعتها وأن تتحلى هذه الشخصية بالقيم، والمبادئ، ودائمًا تنتصر للخير؛ لذا يُعاب على بعض الكُتّاب انتصارهم للشر على الخير - أحيانًا - وتأويلهم لمعنى الشر مما ينافي المرجعيات الأخلاقية، والسلوكية، وبخاصة في مجتمعنا الإسلامي العربي، منهم من يقول: "إنّ هذا المسرح يضع المرايا أمام الأطفال ليروا من خلالها واقعهم ويدفعهم إلى أن يدركوا أنّ لهم دورًا في تغيير ذلك الواقع يقودهم إلى التفكير واحترام المثل النبيلة..." (6)، وأخرى تقول: "الخير ليس هو كل عمل طيب أخلاقي أو في عيون الطفل لا يتحقق إلا بهذه الشخصيات الخارقة، كما هو ليس كل فعل سلوكي ينال به الطفل الرضا من الكبار. كما أنّ الشر ليس هو بسوء أفعاله الشريرة الخبيثة التي تخالف الكبار بعدم الطاعة والولاء لأحكامهم، كما هو أيضًا ليس ذلك الشر الذي تصوره الحكايات الخرافية والأساطير..." (7)

وأحسب أننا لو التزمنا بالواقع كما هو؛ لسبب ذلك صدمة للطفل، وكان له الأثر السيء في حياته المقبلة، أو نظرة سوداية بخاصة لو كانت لدى الكاتب هذه النظرة، فههدف الفنون الارتقاء بالمجتمعات، وبث الأمل والغد المشرق، فأولى بنا أن نبث هذا الغد المشرق في أطفالنا، وأن نتجاوز عن الواقع إذا كان مؤلمًا.

كذلك نؤكد على ضرورة جذب انتباه الطفل بالمؤثرات الضوئية، والصور الجاذبة للانتباه، والدمى ذات التأثير في المسرحيات المرئية، والتنغيم الصوتي، واختيار الأصوات المؤثرة في الطفل في المسرحيات المسموعة.

4. خاتمة:

إنّ القصديّة هي الخط الفاصل بين مسرح الكبار، ومسرح الأطفال، إلى جانب طبيعة اللغة، وسهولتها، وكذا وضوح الحوارات ومناسبتها لأصحابها، والتركيز على شخصية البطل التي تملك الحكمة، والقوة، والعطف....

لقد توصّلت من خلال دراستي هذه إلى بعض من النتائج، أهمها:

1- مسرح الطفل: (فن من الفنون الجميلة، يعتمد على الحوار والصراع الذي يناسب عقلية الطفل، ويتناول قضية من القضايا التي تشد انتباهه بلغة واضحة سهلة؛ تهدف إلى التأثير فيه أو تسليته.)

2- المرسل في مسرح الطفل يتنوع بتنوع المسرح، ففي المسرحية المكتوبة، المرسل: كاتب النص المسرحي، وفي المسرحية المرئية، الممثلون أو الدمى، وفي المسرحية المسموعة، المؤدون، أما المستقبل لهذا المسرح؛ فقد يكونوا أطفالاً أو كباراً لتحقيق المشاركة.

3- أنواع مسرحية الطفل: مسرحية مكتوبة، ومسرحية مرئية، ومسرحية مسموعة.

4- لا بد أن يكون مسرح الطفل أداة بناء للقيم، والأخلاق، والسلوكيات.

5- يجب على كُتّاب مسرح الأطفال، مراعاة اللغة، والحوار، والشخصيات، والموضوعات، والمناظر، والأصوات التي تتلاءم وطبيعة الطفل.

التوصيات

- 1- توجيه دعوة إلى أصحاب القرار في وطننا العربي بأن يكون مسرح الطفل - النص المكتوب - مقررًا دراسيًا للطلاب من الصف الأول الابتدائي.
- 2- ضرورة الفصل بين النص المسرحي المكتوب، وبين النص المسرحي المعروض، في الدراسات الأكاديمية.
- 3- إحياء النصوص المسرحية المسموعة، وتداولها من خلال وسائل التواصل الاجتماعي بعد مراجعتها من قبل جهات تربوية تختص بأدب الأطفال.
- 4- ضرورة مشاركة الكبار للصغار في عملية التفاعل مع المسرحية، سواء المكتوبة، أم المرئية، أم المسموعة، بإعادة تمثيلها، والقراءة لها، وتحليل حواراتها.
- 5- تفعيل دور الأندية الأدبية، وإلحاق الأطفال بها في سنوات مبكرة.

5. قائمة المراجع:

- أحمد زلط، أدب الطفل العربي "دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل"، القاهرة، دار هبة النيل للنشر والتوزيع، 1991.
- أكرم اليوسف، الفضاء المسرحي "دراسة سيميائية"، سوريا، دار المشرق، 1994.
- زينب محمد عبدالمنعم، مسرح ودراما الطفل، مصر، عالم الكتب، 2007.
- عبد الفتاح أبو معال، في مسرح الأطفال، عمان، دار الشرق للنشر والتوزيع، 1984.
- فانتن جمعة سعدون، آليات تكامل السينوغرافيا في عروض مسرح الطفل، مجلة كلية الآداب، العراق، العدد 90، 2007.
- فاطمة يوسف محمد، أطفالنا والدراما المسرحية، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2006.

- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.

الهوامش:

- (1) راجع: زينب محمد عبدالمنعم، مسرح ودراما الطفل، مصر، عالم الكتب، 2007، 15.
- (2) عبد الفتاح أبو معال، في مسرح الأطفال، عمان، دار الشرق للنشر والتوزيع، 1984، 39.
- (3) أحمد زلط، أدب الطفل العربي "دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل"، القاهرة، دار هبة النيل للنشر والتوزيع، 1991، 174-175.
- (4) فانتن جمعة سعدون، آليات تكامل السينوغرافيا في عروض مسرح الطفل، مجلة كلية الآداب، العراق، العدد 90، 2007، ص 4.
- (5) راجع: أكرم اليوسف، الفضاء المسرحي "دراسة سيميائية"، سوريا، دار المشرق، 1994، ص 53.
- (6) هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 304.
- (7) فاطمة يوسف محمد، أطفالنا والدراما المسرحية، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2006، ص 64.

